

المجلد 09 / العدد 02 / ديسمبر (2025)، ص.ص. 362-351

تشكيل الزمن في الكتابة الروائية النسائية المعاصرة "رواية جيم" لسارة النمس أنموذجا Temporal Structure in Contemporary Feminist Fiction: A case study of "Jim" a Novel by Sarah Al-Nams.

تومي هشام
toumi.hicham@univ-khenchela.dz
جامعة عباس لغرور خنشلة

بوسالم إيمان *
boussaleim.imen@univ-khenchela.dz
جامعة عباس لغرور خنشلة
مخبر الموسوعة الجزائرية الميسرة
(الجزائر)

تاريخ النشر: 2025/12/02

تاريخ القبول: 2025/09/15

تاريخ الاستلام: 2025/01/02

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى دراسة حركة الزمن في رواية جيم لسارة النمس، والاشتغال على تقنياته المختلفة وطريقة توظيفها وتأثيرها على المسار السردي، وقد ساهمت "الدلالة الزمنية" كبعد جوهري في بناء الرواية. ومن النتائج المتوصل إليها: أن تشكيل الزمن بإيقاعه المتنذب ضمن السرد الروائي النسائي وعلاقته بالذات ساهم في الكشف عن عوالم الكائنات الورقية وأبعادها النفسية الداخلية المعقدة وحالاتها المضطربة، ما يظهر غلبة الزمن النفسي ودوره في إعادة تشكيل الواقع والمعنى في الرواية. الكلمات المفتاحية: الزمن، الرواية، النسائية، الدلالة، التقنيات.

Abstract:

This research aims to study the movement of time in the novel "Jim" by Sarah Al-Nims, focusing on its various techniques, how they are employed, and their impact on the narrative trajectory. "Temporal significance" has played an essential role in the construction of the novel. Among the findings is that the formation of time with its fluctuating rhythm within the female narrative and its relationship to the self has contributed to revealing the worlds of paper beings and their complex internal psychological dimensions and disturbed states, highlighting the dominance of psychological time and its role in reshaping reality and meaning in the novel.

Key words: Time, novel, feminist, perspective, devices.

مقدمة:

يمثل الزمن أحد العناصر المؤسسة للحياة الإنسانية والنظام الكوني بشكل عام، ولأن الأدب هو تمثيل للفن والجمال على الورق، لمعت أقلام نسائية جزائرية في ميدان الرواية، متمردة على كل أشكال التقيد الاجتماعي والسلطة الأبوية التي كبتت موهبتها وإبداعها الزمن طويلاً، فكانت الكتابة نافذة لتحرير طاقاتها الإبداعية، إذ فرضت حضورها وخصوصيتها تدريجياً وخاضت غمار التجريب، وافتتحت على كل جديد، ومن بين الأعمال التي أثرت الساحة الأدبية نجد رواية "جيم" لسارة النمس، والتي أبدعت في نسج عوالم متخيلة، والغوص في أعماق التجربة الإنسانية وكشف أسرارها، إذ تعاملت مع الزمن الروائي في صراعه مع الذات، بطريقة مختلفة تعكس وعيها الفني الذي يسير تيار الرواية

* المؤلف المرسل.

المعاصرة ومتطلبات الحياة المتغيرة، في شكل إبداعي مميز وطرح فني جريء، يتداخل فيه المفهوم النفسي والأدبي للزمن، للمساءلة وبث مختلف الرؤى و الايديولوجيات والقضايا وكشف الخبوء، وهذا ما يثير إشكالية محممة تستوجب البحث فيها، وهي: إلى أي مدى يمكن للزمن المجرد أن يضع قيوده على الذات ويحمل أبعادا دلالية تعكس الحياة الإنسانية في السرد الروائي النسائي على وجه الخصوص؟، لتستفرع منها جملة من الأسئلة: كيف تبدى هذا التشكيل الزمني؟، هل له لغة خفية؟، ماهي طبيعة العلاقة بينه وبين الذات؟

ومنه جاءت هذه الدراسة بهدف رصد حركة الزمن في علاقته مع الزمن النفسي الروائي وكيفية اشتغاله، وتعامل الكاتبة معه في تشكيل جديد ووعي مغاير لما سبق، والبحث في خفاياه كحالة متصلة بالذات الإنسانية، وتحليل العلاقة المضطربة بينهما، وغاية الكاتبة التي تبث رؤاها من خلاله، متبعين في ذلك آليتي الوصف والتحليل كإجراء منهجي مناسب لهذه الدراسة.

1-الزمن والزمن الروائي:

يعد الزمن مفهوما غامضا، لمظهره البالغ التجريد، ولامتداده اللامتناهي، وتجده المستمر، وما ينجم من آثار حركته على تغير جميع الكائنات والأشياء، إذ لا يمكن إمساكه إلا من خلال الوعي به، لإثبات حضوره الدائم وانبساطه على سطح الذات وعلى كل الموجودات، ومنه فإن التحديد الدقيق والشامل لماهية الزمن أمر صعب ومعقد، وقد حاولت الكثير من الميادين المعرفية البحث في طبيعته بحسب مجالها. ولأن حياة الإنسان عبارة عن مرحلة زمنية تبدأ من زمن وتنتهي عند آخر، نجد Colin Wilson يربط بين: "الوعي بالزمن وبين حاستي الذاكرة والتوقع، فالإنسان ينظم حياته داخل شبكة نسيجها الماضي والحاضر والمستقبل"¹، فالزمن في صيرورته دليل على الوجود، إذ يتقاطع الزمن الطبيعي الذي هو عبارة عن ثواني ودقائق وساعات... مع النفسي، هذا الأخير الذي يبين موقف الذات اتجاه الزمن ويصنع شعورها إما بطوله أو قصره أو توقفه، بحسب الحالة أو الموقف الذي يدفع إلى الإحساس المختلف عن نظام الزمن الطبيعي الذي يطلّله ويتداخل معه: "والزمن مظهر وهي يضمن الأحياء والأشياء فتتأثر بمضيه الوهمي، غير المرئي، غير المحسوس، والزمن كالأكسجين يعايشنا في كل لحظة من حياتنا، وفي كل مكان من حركاتنا؛ غير أننا لا نحس به، ولا نستطيع أن نتلمسه، ولا أن نراه، ولا أن نسمع حركته الوهمية على كل حال، ولا أن نشم رائحته إذ لا رائحة له؛ وإنما نتوهم، أو نتحقق، أننا نراه في غيرنا مجسدا: في شيب الإنسان وتجاعيد وجهه، وفي سقوط شعره، وتساقط أسنانه، وفي تقوس ظهره، واتباس جلده..."²، فالزمن خفي، إلا أنه يرتبط بكل ما في الوجود، ونستطيع أن نتقنى أثره من خلال هرم الإنسان وتطور الأشياء مع الوقت وتغير تركيبها وشكلها.

إن الأهمية البالغة للزمن وعلاقته بحياتنا وكيونتنا ووجودنا، تثير رغبة البحث في الزمن الروائي وتشكيله الجديد في متخيل الكاتبة، والتي افتتحت لحوض تجارب سردية جديدة، فما الزمن الروائي؟ كيف تبدى في كتابة هذه الرواية الجديدة؟ وأي بعد زمني غلب على طابعها؟

يمثل الزمن الروائي العلاقة بين زمن السرد وزمن القصة، وقد اهتم أعلام الشكلائية الروسية وعلى رأسهم Boris Tomashevsky بالزمن الروائي ودوره في بناء النص، إذ ميز بين نوعين مختلفين من الزمن وهما المتن الحكائي والمبنى الحكائي، يظهر: "المتن الحكائي كمجموعة من الحوافز المتتابعة زمنيا، وحسب السبب والنتيجة، كما يتجلى المبنى الحكائي كمجموعة هذه الحوافز ذاتها، لكن مرتبة حسب التتابع الذي تلتزمه في العمل، وانطلاقا من نوعية هذه العلاقة يمكن للكاتب أن يقدم لنا أشكالا متعددة للتجلي الزمني كما يظهر من خلال المبنى الحكائي"³، فالكاتب بإبداعه يدخل أحداث زمن المتن إلى مصنع الذات ليُنتِج زمنا حكايا آخر له تركيبة مختلفة عما كانت، تُبنى وفق مجموعة من التقنيات الذاتية الخاصة التي تحددها رؤيته ووعيه، بمعنى آخر يُخضع الأحداث الطبيعية لعوامل نفسية ذاتية، ليشكل من خلالها بنية زمنية حكاية أخرى يتلاعب بها ويتحكم في سيرها حسب ما يخدم حكته، إذ تنسم بمخصائص فنية وإيحائية ذات أبعاد دلالية، ففتحت آفاقا أخرى لدراسة الزمن الروائي، وهذا Michel Butor يعتبر الزمن ثلاثة أقسام: زمن الكتابة، زمن المغامرة، زمن الكاتب، وكثيرا ما ينعكس زمن الكتابة (السرد) على زمن المغامرة التي تمثل الأحداث بواسطة زمن الكاتب، وهكذا يقدم لنا الكاتب (الروائي) خلاصة قصة نقرأها في مدة قصيرة، دقيقة أو ساعة، وقعت أحداثها في يوم أو ربما شهر أو أكثر، أو خلاصة لحوادث تمتد على مدى سنتين، أو عكس هذا تماما⁴، وبالتالي فالزمن

الروائي زمن نفسي بامتياز، إذ أن الجانب السيكلوجي والحالات الشعورية هي التي تصنع الفارق بين الزمنين باستخدام آليات وتقنيات زمنية تناسب تردده. فزمن السرد يمثل المدة الزمنية التي نستغرقها لقراءة النص، وزمن المغامرة يعني وقوع الأحداث وهي المادة الخام في زمن السرد، وهذه الرؤية النقدية التي ذهب إليها Butor، نقاد ودارسون آخرون بشكل أو بآخر، فنجد Tzvetan Todorov قسم الزمن إلى داخلي وخارجي وميز بين زمن القصة وزمن السرد، وبين Gérard Genett الفرق بين زمن القصة وزمن الحكاية، وهذه الاجتهادات المقدمة تصب في معنى واحد تقريبا، فكيف هي طبيعة العلاقة بين الزمنين في النص؟

تعتبر العلاقة بينهما منسجمة ومتوافقة، وقد يزيد زمن على آخر أو يحدث العكس، أو ربما يسيران في خط واحد متساويين بحسب طبيعة الحكاية وطريقة السرد، وهذا ما يثير تساؤلا آخر أعمق من هذا: ما هي الغاية من عجن الزمن وتشكيله بهذه الطريقة؟ هل يحمل الزمن دلالات نفسية ما في متخيل الكاتبة أم أنه مجرد تحقيق للجانب الجمالي ومسيرة للراهن؟ ماذا يوجد خلف تركيبة الزمن، وكيف تعاملت الكاتبة مع تقنياته الجديدة وبالأخص في معالجتها للدلالة الزمنية؟

يمثل الزمن الروائي "صيرورة الأحداث الروائية المتتابعة وفق منظومة لغوية معينة، تعتمد على الترتيب والتتابع والتواتر والدلالة الزمنية بغية التعبير عن الواقع المعيش وفق الزمن الواقعي أو السيكلوجي أو الفلسفي" 5، وبالتالي فالبنية الزمنية بمستوياتها في السرد الروائي تحمل نسقا دلاليا خاصا تستطيع من خلاله التعبير عن جوانب حياتية من الواقع، قد تماثله وقد تختلف عنه، وطريقة بناء الزمن الروائي وعلاقته بأزمته أخرى تقوم أساسا على اللغة بإمكاناتها، وقد اجتهد المنظرون والنقاد الأوروبيون أمثال Todorov، Genett، Benveniste، في دراسة تأثيرات اللغة على الزمن وتوصلوا بأن اللغة كجوهر عام للتعبير تحمل دلالات زمنية تختلف من لغة إلى أخرى، لذلك لابد من ربط وتوافق مستويات التركيب اللغوي بالتركيب الزمني.

2- المتخيل السردى النسائي واشتغال الزمن:

تجاوزت المرأة المبدعة أسجديات السرد، واتجهت نحو كتابة فاعلة مثمرة تحمل الإحساس والفكر، وحملت هموم العالم على كتفها وعبرت بقلمها عما يختلج فضاءها الداخلي الذي يضم في ثوبه الكون بأكمله، محاولة رصد الواقع الاجتماعي والسياسي والثقافي وقده وبيان أثره على الشعوب، إذ تخطت بخيالها حدود الأدب والعلوم، بهدف التعبير والأمل بغد أفضل. وقد استطاعت الكاتبة في رواية جيم تفجير طاقاتها الفنية والغوص في عمق الذات الإنسانية والتعبير عن ذاتها النفسية ووعيا من خلال شخصياتها الفاعلة، فنسجت عوالم متخيلة شديدة التناقض بلغة جريئة سهلة، يرسم خطوطها الزمن الذي يشكل دورا بارزا في بناء الرواية، ذلك أن وعي الكاتبة بالزمن يختلف عن وعي الإنسان العادي به، فهي تدركه بشكل أكبر وأعمق لتساءل الواقع، وتعتمد في ذلك على نوعين من الزمن: الأدبي، والنفسي، ومن يقرأ الرواية قد يتساءل: هل يمكن الإمساك بالزمن؟ أو تحديده على الأقل في أذهاننا كونه ظاهرة لا مادية؟ كيف يمكن أن نستشعر وجود الزمن في الرواية؟

1-2 رواية جيم لسارة النمس:

"جيم" هي رواية استرجاعية، تقوم بالأساس على اشتغال الذاكرة وسرد الماضي الذي هيمن بكل أحداثه ليتضافر مع الحاضر بكل ثقله ويشكلا معا هاجسا يطارد ذوات الشخصيات في كل لحظة، فتتضاءل الذات أمام امتداداته.

تستوقفنا هذه الرواية التي تعري الواقع بكل تداعياته وفساده في ثلاث محطات، مساراتها متذبذبة، وأولها مثل البوح والاعترافات، يهيم فيها صوت الراوي أمين، ومع تطور الحبكة ورحلته إلى تمارست، يتناوب مع جيم في عملية الحكاية، والثانية خيبة الأمل، وذلك من خلال العلاقة الشاذة التي تحدث بينهما، وقد جسدت هاتين المرحلتين الانهزام والخضوع أمام ثقل الزمن وتحدياته، أما الثالثة فكانت مختلفة تماما، مثلت الجزء الأخير واليسير من الرواية، وهي مواجهة الزمن ومحاولة إنقاذ الذات وإثباتها، ثم تكسر الكاتبة أفق التوقع، إذ تبرز شخصية الأب جهاد مرة أخرى، ليستأثر بمعظم الروي، في شكل يوميات مدونة في قالب رسائي، فأظهرت الرواية تعدد الرواة التي تتداخل لتدعم عملية السرد بلغة التجاوز والبساطة والسلاسة.

عمد "لمين" إلى البوح بماضيه البائس في سرده ليخفف من قسوته عليه وسلطته وضغطه على نفسه الهشة والفارغة. حيث بدأ بعرض حالته المتأزمة التي تعايش عذابين، عذاب الواقع المظلم وعذاب الماضي الذي ينشب أظفاره السامة في ذاكرته المتصدعة، حيث أوصله قطار الحياة المضطرب إلى مرحلة اللامعنى وفقدان الإحساس بأي شيء يبعث على الحياة، لم يعد يتحمل حتى المكان الذي ترعرع وكبر فيه "وهران"، إنه الماضي، هذا الخزان الذي ظل يخفر له منذ صغره سردابا عميقا معتما، إذ دفعه ليقع فيه ولا يخرج من تداعياته: "ما عشته من الألم قتل في أي إحساس بالقوة... انتهى كل شيء، ولم يعد لحياقي أي جدوى"6، فوصف حياته الحالية، مشاعره البليدة أمام الأشياء التي تحيط به، أفكاره الفارغة، فشله في كل شيء، إلى أن قرر الابتعاد عن ذلك المكان طمعا منه للهروب من الماضي الذي يلاحقه، فاختار الهجرة إلى تمتازت ليعاقب نفسه على جرائمه التي لا تغتفر، وهناك في الحافلة يلتقي ببطلته التي تمكنت من تغييره جذريا، الفتاة "جيم"، وهنا تتطور الأحداث، إذ يتعرف عليها ليكتشف اختلافها الشديد وتشابهها بالدرجة نفسها، فهي من الطبقة الغنية والمتقنة والراقية، وهو من حي شعبي فقير، ينتمي للمجتمع الكادح الذي يسوده الضياع والفساد، إلا أنها يتأثران في الذنوب والخطايا وأحاسيس العذاب إلى حد كبير، ليطلق السرد في النمو والتصاعد عن طريق البوح بالتناوب، عساهما ينفصلان عنه، يفران من سياطه بالاعتراف والعودة إلى الذكريات! "الله جمع بين مخلوقين متعيين ليضع كل منهما رأسه على كتف الآخر.. ليحاول كل منهما ترميم كسور الآخر، أنت لم تقولي شيئا بعد، ولكنني أراها انكساراتك في عينيك، أتصفحها جروحك الغامضة، نحن هنا يا جيم لتتعافى بالاعتراف كأولئك المرضى الذين يقبلون بالتنويم المغناطيسي من أجل الغوص في ذكريات بعيدة، نرفض العودة إليها ونحن في البقطة"7، فتذهب الرواية في عوالمها العجيبة، ويسبح السرد في قصص وأحداث غير متوقعة، وتفعّل الحبكة عبر إيقاع زمني متذبذب لا يسير وفق خطيته الطبيعية، فقد تم كسرها من خلال التقنيات الزمنية.

2-2 حركة الزمن في الرواية:

تعد رواية جيم ضمن صنف الرواية النسائية الجديدة، ويمثل الزمن فيها عنصرا حيويا يسير في اتجاهات مختلفة، تتراوح بين الماضي والحاضر والمستقبل، والغالب هو الزمن الماضي الذي اتسمت به الرواية المعاصرة عموما فالحاضر، ثم يأتي الزمن المستقبل الذي يتجلى في مقاطع معينة. وربما يكون هذا الخلط هو سر فنية وإيحائية الرواية، فهي ليست تقريرا أو تأريخا، إنما إبداع يشترط الخلخلة، "فيتقاطع الزمن النفسي والزمن الأدبي، ويحدث ما عبر عنه برجسون "التداخل الدينامي" الذي يجعل الخط الزمني التساهلي في سرد الأحداث غير مُنظم لطغيان الزمن النفسي وآلياته في النص"8، وقد عمدت الكاتبة في عملها إلى تكثيف السرد لتذكر في قصصها ما يغذي حبكتها وما تريد أن تقولها في عمقها، في عملية تناسق مع بقية العناصر الأخرى.

تأسس الزمن بتشكيلاته المركبة والمختلفة في هذه الرواية من خلال تداخل مجموعة من المقومات الاجتماعية، السيكلولوجية، اللغوية، كونه يشكل الرواية بناء ودلالة، كما أنه يتواشج مع الذات ويتصل بالحياة النفسية ليعبر عن حالاتها الشعورية التي تمثل بشكل ما الحالة النفسية للكاتبة، فوظفت مجموعة من الآليات النفسية منها: المونولوج الداخلي والخارجي، التداخليات، المناجاة، الصور الحلمية... من خلال التوقف الزمني واسترجاع الأحداث السابقة في زمن الحاضر، أو القفز إلى المستقبل في محاولة للبحث عن القيم المفقودة والوصول لقارب النجاة، إذ يحضرن في ذهن فقط ولا وجود لهما في الحقيقة، حتى الحاضر عبارة عن زمن عيش يدرك في الآن ثم يتحول إلى ماضي، والمستقبل كذلك محميا بعد يغدو حاضرا وينتقل إلى خانة الماضي، وهذا ما يبين الحركة الممتدة والسيرورة الزمنية اللامتنقطة في مقابل تلاشي الأشياء وتلفها وزوالها وتحولها.

2-3 تقنيات الزمن في الرواية:

تحول الزمن في سرد الروائية إلى عنصر فاعل يرسم لوحة الرواية بكل فنية، إذ يرتبط بالباطن الخفي لذاتها، ولأنها أكثر قدرة على التعمق في الحياة الداخلية للنفس البشرية، لحساسيتها الزائدة والمرفهة، نجدها كذلك تقوص في دواخل شخصياتها، فيلعب الزمن النفسي على أوتار السرد، فالماضي يتراكم والحاضر سرعان ما يتحول إلى ماضي إلا أنه يتجدد ويظهر في كل حين في المستقبل من خلال فعل التداخي، ليؤثر في بقية العناصر الأخرى وبناءها من الداخل، إذ تتداخل الأزمنة فيما بينها، لتؤثر بدورها على القارئ الذي يساهم في تشكيل الدلالة واكتشاف نفسه من خلال سرد

الشخص والأحداث والأمكنة وفاعلية الزمن فيها من أجل الوصول إلى إدراك الذات والحياة التي تشكلها، وهذا الخرق للزمن في الرواية يتحقق من خلال مجموعة من التقنيات والمفارقات الزمنية منها: الاسترجاع، الاستباق، الحذف، الخلاصة، الوقفة الوصفية، التواتر، الدلالة الزمنية.. وهذه الأخيرة هي محور هذه الدراسة.

2-4 الاسترجاع (الفلاش باك):

أغلب أحداث الرواية وقعت في ماضي الشخص فكان استخدام الأفعال الماضية بارزا وطاغيا، إذ يوحي بنشاط الذاكرة الإنسانية، في محاولة لفهم الحاضر، ومن الأمثلة التي تدل على ذلك: "أصبحت أتذكرها كما لو لم تكن امرأة حقيقية، بل شخصية من رواية أو سيدة قابلتها في حلم قصير ظل ملتصقا بذاكرتي" 9

"أنا أذكر كل لحظة عشتها مع أي، في رأسي ذكريات واضحة وقوية عنها" 10

2-5 الاستباق:

الاستباق هو توقع ما هو آت، فيمثل الزمن المستقبلي: "لو مرضت مثلا وكان مجوزتي المال، فسأشتري دواء يخفف ألمي، وإذا لم أمتلك المال لشرائه، فسأنتظر أن يذهب المرض من تلقاء نفسه" 11، إذ تم استباق الحدث وتوقع المرض وكيفية التعامل معه في المستقبل، ومن النماذج أيضا: "تخطط من الآن لما سيحدث بعد هذه الرحلة، قد تنقلب هذه الحافلة ونموت قبل وصولنا ليتهاي كل شيء قبل أن يبدأ" 12، وهذا خرق للزمن وتوقع ما سيحصل، أي الحدث المأساوي الذي لا يوجد ما يوحي بتحقيقه في حاضره.

حدد "Gérard Genett" الصنف الثاني لمستوى الزمن السردي وهي أربع حركات أو تقنيات للمدة الزمنية، وهي: التلخيص، الحذف، المشهد، الوقفة، و "أما التلخيص والحذف فيختصان بتسريع السرد، وأما المشهد والوقفة الوصفية والتي غالبا ما تكون حوارية فالعكس، أي تبطئته وتعطيله" 13، فالتلخيص سرد موجز يزيل الحشو الذي لا فائدة منه: "لن أحدثك عن تفاصيل علاقتي الكاملة بها، سأحاول الاختصار قدر الإمكان (...) " 14، حيث قدم أمين قصته مع الفتاة ناريمان بطريقة موجزة وملخصة متفاديا التفاصيل الدقيقة، ابتداء من الصفحة 120 إلى 125.

كذلك: "وبعد أن أعادت الحياة تشكيلي، لم أعد أدافع عن فكري بالشراسة نفسها، لأنني بعد عشر سنوات قد أكون شخصا أنا نفسي إذا قابلته لن أتعرف عليه" 15، وهنا لخص أمين ما قد يحدث بعد عشر سنوات من حياته المستقبلية، وهي تكوين نسخة أخرى عنه قد لا يتعرف عليها، وذلك من خلال ما عايشه وما سيعايشه في السنوات المقبلة، ويدخل هذا التلخيص في دائرة الاستباق أيضا، فيظل مجرد توقع. وأما الحذف فهو نوعان صريح وضمني، الأول يكون مصحوبا بدلالة تدل على الزمن المحذوف والثاني يفهم من سياق الكلام: "تطلب الأمر مني سنوات حتى تصالحت مع فكرة غيابه واغتياله بذلك الشكل" 16، وهو حذف صريح لتفاصيل سنوات لم يحدد عددها، فذكر فقط أنه حاول فيها التصالح مع الحقيقة وتقبلها، وأيضا: "وبعد أشهر، قتلتها بيد باردة" 17، وهنا تم حذف ما وقع في عدة أشهر قبل وقوع الحادثة. أما بالنسبة لتقنيات التبطئة والتعطيل فنجد المشهد الذي تسير فيه حركة الزمن وحركة السرد في اتجاه واحد، إذ يتجسد من خلال التمثيل الحواري، ومن النماذج:

"— مفتتحون أكثر على الثقافة الغربية، متمردون وعصريون أكثر من غيرهم
— ربما لأنهم تأذوا أكثر من غيرهم؟

— نعم، تأذوا أكثر من غيرهم، لأنهم تمردوا أكثر من غيرهم (...) " 18

عبر هذا المشهد عن فكر كل من أمين وجيم حول حقيقة القبائل كقضية تاريخية تهم الوطن كله، وذكرت الكاتبة على لسان جيم شخصية كبيرة عند القبائل "معطوب الوناس" والذي أفنى حياته لقول الحقيقة وكشف النظام الفاسد... فكان لكل منهما رأي، وقد عمدت إلى استحضار هذا التاريخ بغية تشرح وفهم الواقع بتناقضاته، وربما لتوهم بواقعية الأحداث، وقد ساهم هذا الحوار في تبطئة عملية السرد. ومن أمثلة الحوار الذاتي "المونولوج" حوار السارد مع نفسه: "أقول لنفسي سأرى أولا إن كانت مسافرة بمفردها أو مع أحدهم. ستكون المفكرة حجة جيدة للتعرف عليها" 19، فكان المشهد الحواري وسيلة لإبطاء وتعطيل حركة الزمن وأسلوبا للبوخ.

أما بالنسبة للوقفة فهي كما المشهد وهي عادة ما ترتبط بالوصف، وللوقفة أشكال عدة في السرد الروائي، قد تتعلق بالشخص أو الأماكن أو حتى الأشياء: "أتأمل غرفتي.. في حالة كارثية من الفوضى؛ على الأرضية أعقاب سبائري مبعثرة، وتحت الطاولة زجاجات كحول فارغة، والذباب يحلق في أرجاء الغرفة بحبوبة مزعجة" 20، فهنا توقف

عن السرد وبدأ بوصف المكان الذي يحيط به "غرفته"، فخبس الزمن السري وعطل عمله. وتتوقف جيم عن حكي ماضيها لتصف والدها: "والدي حماد أوقاس أمازيغي أبا عن جد، رجل نحيف وطويل، لديه جسد شاب لا يشيخ، وملامحه حادة تمنح الانطباع بأنه جاد وصعب، وعينان عسليتان تحت كل منهما أربعة خطوط من التجاعيد، وأنف طويل وشفتان رفيعتان" 21، وقد ساهمت هذه الوقفات الوصفية في ملء الفراغات، وجذب القارئ لاكتشاف ومعرفة تفاصيل الشخص، ملامحهم الخارجية والداخلية، أو ما يحيط بهم.

3- الدلالة الزمنية:

تجاوز الزمن الوظيفة البنائية التقليدية، إذ لا يكتفي بكونه أحد العناصر المشكلة لبنية الرواية المعاصرة، فالكاتبة رسمت متخيلها السري بألوان مفارقة وجديدة، وكان لتشكيل الزمن الجدلي والتداخلي دور كبير فيها، فالرواية: "لم تعد تركز على تصوير الشخص والأحداث والأمكنة بقدر إبراز المتغيرات النفسية التي تحدث داخل الإنسان" 22، ومنه فالدلالة الزمنية تمثل: "الأبعاد الإيحائية التي يعبر عنها التشكيل الزمني في الرواية، وتمثل في صراع الذات والزمن، وفي الديمومة الزمنية وعدمية الذات، ويرجع ذلك إلى مجموعة العوامل السياسية والاجتماعية والثقافية والنفسية". 23، وبذلك فهو يحمل أبعادا دلالية رمزية، يسعى من خلالها إلى تقديم التوافق بين جوانب الحياة والعالم الداخلي الشعوري للذات، ويجسد مقاومة الذات لسطوة الزمن ومتغيراته نتيجة تأثيرات اجتماعية وثقافية سلبية ومعايير مختلفة، والتي تؤدي إلى انشطار الشخصية، بمعنى استمرار الزمن مقابل عدمية الذات، أي تحجيمها وانفصالها عن نفسها وعن محيطها، فتصبح في حالة من الفراغ والثبات والجماد مقابل سيلان الزمن اللانقطاع، وهذا ما يثير عدة تساؤلات: ما العلاقة بين الزمن والذات؟ وكيف يمكن أن تصل الحالة الشعورية للشخصية إلى درجة الصفر والتي تعني بالضرورة الانعدام والتشطبي في مقابل سيرورة الزمن وديمومته؟

1-3 انطفاء الذات وعدميتها مقابل سيرورة الزمن:

يعد الزمن مفتاح الأسرار والكشف عن خفايا الأحداث، وقد تمكنت الكاتبة من تشكيله والتحكم فيه وإبراز دلالاته من خلال تعدد الأصوات (الشخصيات)، والملاحظ في هذه الأخيرة أنها تتصرف بغربة منذ بداية الرواية، ما يظهر الانفصال التام عن الواقع الهش، ومع العودة إلى الماضي واستحضار الذكريات يكشف الزمن عن أسباب هذه الأفعال التي تعكس الحالات الشعورية للذات: فقدان الأنا وعدم القدرة على إيجاد صيغ التواصل...، إذ تعاني شخصيات الرواية من الضياع والتشتيت والتناقض بين ما هو كائن وما يجب أن يكون، أمين، جنات، حماد، جيم...، بسبب المواقف والانكسارات التي عاشوها، إذ وصلت لمحاولة الانتحار، فرغم أن الفتاة جيم من الطبقة الاجتماعية الثرية والراقية وعيشها في فرنسا، إلا أن ذاتها سارت إلى الأفول أمام الزمن بعد الظروف القاسية التي عاشتها مع أقرب شخص في حياتها "والدها"، والذي تحول من رمز للأمان والخير إلى الشر والفساد والانحلال، فهدم ذاتها وقلب شخصيتها ومفاهيم الحياة رأسا على عقب، "لقد دمرت ابنتي كما دمرتني، وكل منا ضحية الآخر" 24، هذا التأثير السلبي جعلها تشعر بالدونية والقهر أمام الزمن. في المقابل والدها كذلك في صراع مع الزمن، يتربص رجوع زوجه جنات في ابنتها التي تشبهها حد التطابق: "إنني أفقد عقلي، من منكم توفيت؟ أنت أم ابنتنا جيم؟ من هذه المرأة التي تعيش معي؟" 25، ولأنه في حالة هذيان مستمرة، يراها زوجه المتوفاة وليست ابنتها: "لا تحزني، يا حبيبتي، لا يهم من تكونين، لا يهم من أكون، هل أنا حبيبك؟ زوجك؟ والدك؟ كل هذا لم يعد مهما" 26، وبالتالي فالكاتبة كشفت في روايتها عن جوانب مظلمة عن الحياة الاجتماعية القائمة على بنية محترمة بما فيها الأسرة، فأدى ذلك إلى هشاشة الذات ومرضاها وتحطيمها كتحصيل حاصل، فالشاب أمين يفقد أباه باكرا في فترة العشرية السوداء وما أحقته من تقهقر على البلاد والعباد، حيث اغتالته الجماعة الإرهابية مع صديقة بطريقة وحشية: "ركض طمعا في رصاصة ساخنة تهبي حياته بسرعة، لكنهم بخلوا عليه حتى بهذا الموت السريع. أطلقوا عليه الرصاصة في ساقه (..) ثم بتروا أصابع أي قبل أن يبدأوا بذبحه بمنشار فصل رأسه عن جسده (..) علقوا جلاية أي في شجرة، وثبتوا رأسه وحده فيها، تاركين جسده على الأرض في مكان يبعد بضعة أمتار (..) ولا شيء في رأسي عنه غير هذه التفاصيل القاتلة" 27، عاش مع أمه وأخته واصطدم بالواقع المنحط وهو صغير في سن البراءة، الفقر من جهة وانعدام الأخلاق والقيم من جهة أخرى، وقد أبرزت الشخصية البيئة الاجتماعية القادرة، والحالات النفسية التي ساهمت بشكل كبير في تكوينه: "ما يفعله الفقر هو إطالة

أظافرك وتقويتها، ويضاعف كراهيتك لهذا العالم"28، وهذه الحالة الاجتماعية التي سببتها السياسة الظالمة بالأساس، جعلته يقزم ذاته أمام الزمن حيث ينفي ذاته ويتوقع في أحلام يتنناها في الماضي: "تمتد في قلبي لو ولدت كلبا يعيش في منزل هذه الأنسة الثرية"29، إضافة إلى الكثير من الظروف التي تراكمت وأرقت حاضره كحالة التحرش والاعتصاب في طفولته من قبل جارهم، وفاجعة موت أمه بسبب حماقاته، فغرق في حالة ثابتة، عاجزا أمام سيرورة الزمن التي لا تلتفت إلى الورا: "منذ وفاة أمي كلتوم، أصبحت دنياي مظلمة وبلا معنى، حتى الله لن أقبل أن يسامحني على ما فعلته بها. تمتد لو يعود بي الزمن إلى الورا لأعيش حياقي بصورة مختلفة، ولكن الزمن لا يعود بعجلاته أبدا إلى الخلف..30"، أما وردة التي كانت محبوبته لفترة ما، انتحرت وفقدت ذاتها إلى الأبد بسببه، هزما الزمن ولم تستطع مواجهة الأمر حينما تخلى عنها بعدما سلب منها كل شيء طاهر ونبيل، فتختار الانعدام والتشطبي والموت، وخطيئة موت أصدقائه اللذين كانوا أوفياء معه، يدعمونه ويحبونه سميرو ومالك، إثر حادث سيارة تسبب هو فيه دون قصد. في الأخير كافته القدر بخداع المرأة التي أحبها من قبله ناريمان. فيبحث أمين عن النور ولا يجد أمامه إلا العتمة، وهنا تتشكل دلالة الزمن: "الله الذي قاطعته منذ سنوات قليلة، اعتدت التحدث معه كما لو كان صديقي الوحيد الذي يعرفني أكثر مما أعرف نفسي (...). كان إيماني به قاطعا ومطلقا، ولا مجال لشك صغير أن يتسلل إلى رأسي.. واليوم، ما عدت أحدثه، ليس لدي ما أقوله له! لن أطرح عليه ذلك السؤال الذي يطرحه الناس في المصائب: لماذا أنا؟"31، إذ تتلمس هنا مناجاة أمين لذاته التي خضعت لتغيرات الزمن، فبعد أن كان يؤمن بالله، بمعنى وجود طاقة روحانية تقوي ذاته ليكون متزنا أمام كل الظروف، إلا أنه ومع سيرورة الزمن تغير كل شيء، ضاع الإيمان ومعها نفسه، فالיום لا يعرف حتى ما يقول، لا يعرف من هو، فنلاحظ تجلي ديمومة الزمن، ذلك الامتداد اللانهائي في مقابل عدمية الذات: "لا أملك حافزا لأتسول منه السعادة المشتبهة، ما عشته من الألم قتل في أي إحساس بالفرق.. انتهى كل شيء، ولم يعد لحياقي أي جدوى"32، إذ تشعر الشخصية باننيار الماضي وانعدام المستقبل، فقد وصلت لدرجة الصفر، إذ لا فرق بين الحياة والموت، لكن ما الذي جعلها تفقد الإحساس بذاتها وبالتالي بزمنها؟ هل للزمن خيوط خفية تربط الذوات؟ تعيد نسج وعيها وشعورها من جديد؟ ما علاقة الطبيعة السيكلوجية بحركة الزمن؟

يقول أمين: "كنت فيما مضى مسلما صالحا أدافع عن معتقدي باستماتة؛ ولم أعتقد يوما أنني سأصبح الرجل الذي يتكلم في هذه اللحظة. اليوم وبعد أن أعادت الحياة تشكيلتي، لم أعد أدافع عن فكري بالشراسة نفسها. لأنني بعد عشر سنوات قد أكون شخصا أنا نفسي إذا قابلته لن أتعرف عليه!"33، يبين هذا المقطع هيمنة الزمن على الذات، هذه الأخيرة التي تخضع لتقلباته وتحدياته، ففي الماضي كان شخصا وفي الحاضر تحول إلى آخر وفي المستقبل لا يدري كيف سيكون، لأنه ضائع ومستسلم لما حدث وما يمكن أن يحدث، الحياة أعادت تشكيله. ما الحياة؟ أو ليست زمنا، فعوض أن تكون فترة الطفولة والمراهقة بناء متينا تشدذ ذاته وشخصيته ليتحدى الواقع وينتصر، حدث العكس فكل الظروف مزقت ذاته ولوثتها وجعلته يغرق في بحر لا نهاية له، فازداد شعوره بالضالة نتيجة تلك العوامل السياسية والاجتماعية والحياتية المتناقضة في الواقع المعيش، لذلك يختار الصحراء بشساعتها وحرارتها، هذه الطبيعة الصفراء الهائلة والقاسية، يطول فيها النهار والليل، زمنها مختلف وعالمها كذلك، كنوع من التطهير ومحاوله البحث عن الذات المفقودة، فتتحول الصحراء إلى تيمة زمكانية خاصة.

بالنسبة لشخصية جيم فقد كان التكوين الأسري شاذا وغريبا رغم أنها لم تعرف الفقر في حياتها إلا أنها لم تعرف معنى الحب والأمان كذلك، فقدت أمها وهي في سن التسع سنوات وعاشت مع والدها فقط في فرنسا بعيدا عن الأهل، والدها الذي أضاع نفسه: "أسير شاردا طوال الوقت في اللاشيء، مثل من يتأمل لوحة بيضاء حتى يغط في النوم"34، ذلك أن الزمن لم يرحمه وسلب منه ما يجب، فاختلط عليه الأمر واتتهك ابنته روحيا وجسديا، سلب شخصيتها واتناء لذاتها، إذ لا تكاد تعرف نفسها من تكون أي ابنة أم زوجة أم لعبة جسدية في يد رجل لا يعرف معنى الأبوة: "ليته تزوج، عذبي بها كما عذبتني؟ ظل يقارني بها ويرغب بأن أكون نسخة عنها في لباسها وحديثها ومشيتها، وكلمها اخترت ذوقا مغايرا وتصرفت على طبيعتي كرهني واشمازمني، لأنني أقتل ذكرى جنات"35، ما يبرز هيمنة الماضي وعدم تقبل الحاضر، أي انهزام الذات فيه.

إن هذا الصراع بين الذات وذاتها ومواجهة أطراف أخرى جعل هذه الذوات تعيش في صراع مع الزمن، وتحت سلطته وضغطه، فالماضي يؤرق ويزعج والحاضر يقيد ويعاقب والمستقبل مظلم، وبالتالي تحول الزمن لمصدر

خوف وعذاب: "عمر الإنسان لا يقاس بالوقت الذي قضاه في هذا العالم، بل بكم الألم الذي تلقاه فيه" 36، إذ يتضح في الرواية مقاومة جيم وأمين تحديات الزمن ومعايير الحياة الاجتماعية الخاطئة منذ الصغر، لكن مع استمراره فقدوا القدرة على الصراع نتيجة الحيات المتتالية فوصلوا لمرحلة الخواء الروحي التي لا يدركون فيها حتى لحظات عيشهم، إذ تغيب ملاح الماضي والحاضر والمستقبل، ما أدى إلى فقدان الهوية الزمانية:

"لو يعود بك الزمن، هل كنت تتصرف على نحو مغاير؟

ولكن الزمن لا يعود، ولا من رحلوا، لذلك لن أطرح على نفسي سؤالاً لا فائدة منه." 37

3-2 دلالة الحافلة:

تمثل الحافلة رمزا للديمومة الزمنية وعلاقة الذات بالزمن، والتغيرات الطارئة التي وقعت في فترات سير الحافلة من أقصى الشمال وهران إلى أقصى الجنوب تمتازت: "إن الديمومة هي السيلان المستمر للماضي باتجاه المستقبل، وهذا السيلان للماضي يجعله ينتظم باستمرار. وباستمرارية تضخم الماضي، تنمو شخصيتنا وتكبر دون انقطاع، وكل لحظات الحاضر هي إضافة جديدة تنضم إلى ما كان موجوداً من قبل" 38

فالحاضر ماض قريب ينتقل من حالة الآن إلى الذاكرة ليتداخل مع الماضي البعيد ويصيران زمناً واحداً، إن الحاضر طريق عبور بين الماضي والمستقبل.

الحافلة تعني السير المتواصل، وقد تحمل مختلف الأشخاص على التغير، فأمين بعدما ركب الحافلة استطاع أن يجارب وطأة الزمن ويدخل في علاقة مع شخصية أخرى جيم والتي يخرجها هي الأخرى من دائرة الفراغ والانفصال إلى حالة الاتصال والتفاعل، مع مقاومة أمين لعذاباته التي تؤرقه واتصاله بجيم يدخل الأمل والحب قلبه ليضعه ينبض من جديد ويحس بالحياة مرة أخرى، فيحلم بمجيء الوقت المناسب ليعرض عليها الزواج، في المقابل تظل جيم قابعة في الظلام، ضعيفة وفاقة أي معنى للحياة أو إحساس بالوجود في حالة الانفصال الأولى، أي عزلتها عن كل ما حولها، وحتى بعد اتصالها مع أمين لم تتغير ذاتها اتجاه الزمن رغم وجود بعض التأثير والتفاعل البسيط، إنها ضعيفة ومهزومة أمام حاضرها كما في ماضيها، إذ استمر الزمن في خلخلة كينونتها وشعورها بذاتها كأثى وامرأة ووجود. وبالتالي فلقاء الحافلة يوحي باستمرار الزمن وحركته في مقابل ثبات الذوات ومجزؤها وعزلتها عما حولها، ولكن مع مرور الوقت تتفاعل الذوات مع بعضها وتنجح في التواصل والبوح بالأسرار: "لدينا رحلة طويلة أمامنا، فلماذا لا نتحدث؟ دعينا نقتل الوقت" 39، إذ يحاول أمين مواجهة ثقل الزمن وامتداده بالحديث والبوح، أملاً في انقاذ نفسه وإيجاد الملجأ الذي سيحتضن أوجاعه: "لقد عريت لها جرحي وعاهتي، وهذا ما جذب اهتمامها وجعلها تذيب الجليد بيننا، وربما في أعماق قلبها، أحست بأنني لست رجلاً سيئاً كل السوء. لن أقوم بإيذائها، بل سأحتويها كلها كما ستحتوي جرحي" 40، فساهم زمن الليل في البوح ونشر الدفء رغم الظلام، أما النهار فكان وسيلة للرؤية والتعارف لمحاولة فهم ما جرى، أي استحضار الهزائم والانكسارات النفسية والاجتماعية وأثرها على الراهن والمستقبل، في سرد دون قيود ولا رقابة، تجاوز بارع وإزعاج للثالوث المحرم، والذي لا يتجرأ على الخوض في بعض مسأله الحادة الكتاب أنفسهم، فكشفت تلك التراكمات الضياع والفراغ وغياب الوعي بالزمن وضالة الذات أمامه، فتحاول الذوات الشعور بنفسها وإثباتها طوال فترة المسير وما بعدها، تصارع الزمن فتارة تهزم وتارة تقف وتحاول البحث عن معنى الوجود.. هل يتحقق ذلك في النهاية؟ أم تنعدم وتموت أمام سيلان الزمن الذي يتجاوز كل شيء؟

3-3 الزمن والشخصية:

يشكل الزمن الركيزة الأساسية في بناء الشخصية الروائية على مستوى المكان والحدث والسرد، فالذات في النهاية مجرد تكوين زمني، إذ تعد الشخصيات الفاعلة في الرواية أقنعة تخفي وراءها الذات العميقة للكاتب: "وتكون الشخصية المحورية أو البطلة، عادة، هي الممثل لشخص الكاتب النفسي والناطق بلسانه والمعبر عن وعيه الاجتماعي، حيث تدخل هذه الشخصية في نزاع أفعالي وكلامي مع الشخصيات الأخرى، لتعبر عن تأملاتها في الإنسان والحياة، إضافة إلى دخولها في جدال نفسي حاد تسائل فيه ذاتها باستمرار رامية إلى نقد آرائها وتصحيح أخطائها وإعادة صياغة خواطرها. إن الشخصية الروائية أيقونة أدبية يتوسل بها الكاتب التلميح أو التصريح بحقيقته التي تتوزع بين الصراع الخارجي مع المجتمع والعالم والصراع الداخلي مع مبادئه وإنسانيته" 41

لكل شخصية روائية حياتها وبالتالي زمنها الذي تبتدأ وتنتهي معه: "وزمن الشخصية هو زمن نفسي ذاتي يخضع لحركة اللاشعور ومعطيات الحالة النفسية. ويشكل ركيزة أساسية من ركائز الإبداع، بما يتضمنه من دلالات إيحائية، وإشارات جمالية ذات رؤيا وفكر ومشاعر" 42، وإن فقدان الإحساس بالزمن وانعدام الذات يوضح أن هناك جوانب خفية في الذاكرة، في العالم الخارجي والداخلي تتطلب البحث فيها لفهم هذا الشعور بالضالة تجاه الذات والزمن، ولأن قوام هذه الرواية هو نشاط الذاكرة فقد ساهمت في تشكيل الحاضر والمستقبل وفق معايير الماضي.

4- البحث عن الذات في مواجهة طاحونة الزمن:

إن البوح بالماضي في إطار الزمن السائل، قد لا يكون دائما إعادة لفتح الجراح وإضرام نار العذاب وفقدان لبوصلة الآن، بل ربما يكون الاعتراف بالأخطاء بصدق نافذة للعلاج وإيقاظ الذات التي تقاوم هيمنة الماضي وربطه، حيث صنعت الكتابة مفارقة في الدلالة الزمنية نستشفها هنا: "نحن هنا يا جيم لتعاني بالاعتراف كأولئك المرضى الذين يقبلون بالتنويم المغناطيسي من أجل الغوص في ذكريات بعيدة، نرفض العودة إليها ونحن في اليقظة" 43، وهي محاولة لتبرئة الذات من محاكمة الزمن على أخطاء الماضي، هذا الأخير الذي كلما حاولت فيه الذات تحقيق ذاتها واجتمعت عراقل ومعايير اجتماعية أسرية واقعية بالية، فلا تتمكن من الخلاص، ويظهر هذا في محاولة جيم لبناء علاقة سليمة تثبت وجودها الأنثوي وشخصيتها الحرة مع أستاذها فتنشل، وأمين الذي جمع المال لأمه في وقت متأخر من أجل شفاءها ولم يتحقق ذلك، وجهاد الذي يسعى للارتباط بالمرأة الصحراوية التي مثلت في السرد رمز القوة وحاضنة الأمان التي تحتوي سواده لتعالجه بالحب والحنان، بطاقة الأنثى المباركة، كي يعالج اضطراباته النفسية ويبدأ حياة جديدة، يتحرر فيها من سلطة الماضي وخطايه وذكري جنات، إن هذه الأفعال التي تصارع الزمن هي تطلعات لإنقاذ الذات وتحقيق الكينونة الإنسانية، إذ توجد بعض المشاهد الروائية التي تدل على الرغبة في انتماء الذات لذات أخرى وتوحدتها معها هروبا من الواقع القاسي المبني على أسس محترقة ومتناقضة، خشية دمار الذات وذوبانها في حجمه. إنها نوع من الحماية والأمان.

أظهرت الرواية رؤية بسيطة ولكنها محممة وفي غاية العمق، معروفة لكنها غير مفهومة بالشكل الصحيح، هي أن "نغمة الزمن تشترط حب الذات"، ولن تفوز الذات أمام سلطة الزمن إلا بحبها وقبول ماضيها، فحجاب فقد ذاته وربما عقله بعد موت جنات لأنه أحبها أكثر من نفسه ولم يتقبل حياته بدونها حيث تحول إلى كائن مضطرب ومنعزل ومريض حد الجنون: "بدأت ببساطة أقضي نهاري كله من دون أن أفكر.. أنهك نفسي في عملي حتى أنسى من أكون (..) أصبحت رجلا فارغا من كل شيء..." 44، بعد وفاة زوجه جنات، أضاع نفسه التي انهمزت أمام دوامة الزمن، سجنها وفشل في كل شيء من: ترميم نفسه، تنشئة ابنته، حياته العامة، علاقاته. إذ فقد الوعي بالزمن، ودخل لعالم الصور الخلمية والتداعيات النفسية المضطربة: "كأثنان ضبايين داخل حلم طويل يغط صاحبه في سبات أو غيبوبة، وكل شيء سينتهي بيقظته.. أعيش كل يوم وأنا أحس بغياب الحياة في أيامي، وليس بيدي فعل أي شيء لأخلق من اللاجذوى معنى (..) أنكسل طوال الوقت مثل رجل مشلول، يقضي وقته على كرسيه المتحرك، يحلم بالركض والقفز والسباحة ويخطط لفعل ما يريد، إلا أن الحزن يخيم على قلبه حين يتذكر بأنه لا يستطيع" 45، وعدم القدرة تلك خربت حياته...، أما أمين لم يجد ذاته المنشودة مع جيم بعد الزواج، فنتخبطه: "إن كنت تعيش وتريد حياة مختلفة وعلاقة من نوع آخر، فهي مشكلتك أنت، وليست مشكلتي، فلتعالج نفسك بدلا من التذمر طوال الوقت" 46، إنها حالتين متناقضتين ولكنها يصبان في غاية واحدة، إذ أن محاولة البحث عن أنفسنا في الآخرين طريقة فاشلة.

أفرغت جيم وأمين ما في جعبتهما من ذكريات واعترافات بالخطايا وكانت عملية التطهير تلك وفعل الارتباط والانفصال تجارب دفعتها للبحث عن ذواتها خارج قيد الزمن والأطر الاجتماعية، وتنجح جيم في ذلك: "لكن أخبريني عن سر هذا التغير، كل شيء فيك تغير! شعرك، مكياجك، مشيتك، طريقة تدخينك، لم أعرفك وأنت تنزلين السلام!

السر هو أنني أخيرا وجدت نفسي بعد رحلة طويلة من البحث، أنا مرتاحة بهذا الشكل (..) لا أرى غير

جيم.

ولكن، لماذا لم تغيري شكلك منذ البداية؟ لماذا انتظرت كل هذا الوقت؟
لأن التغير يبدأ من هنا، من الداخل، ولم أكن قد رمت خراي بعد..." 47

كما نجح أمين في سلك الطريق الصحيح "أنا لن أخون تلك الاعترافات أبداً، تلك الرحلة كانت أفضل ما حدث في حياتي. بعدها، تعلمت كيف أقبل الماضي وأتعايش معه، وتعلمت كيف أكون متسامحاً مع نفسي" 48، فكانت حافلة الزمن رحلة نفسية جعلتها يواجهان العدم ووطأة الوقت وينجح كل منهما في ذلك ويؤسس حياة خاصة به تمثل هويته الزمانية الذاتية.

خاتمة:

في الأخير يمكن القول أن الكتابة في متخيلها الروائي، صورت جوانب نفسية، اجتماعية وسياسية، شخصت فيها الأبعاد النفسية والفكرية والأخلاقية للشخص الورقية اللغوية من خلال وعيها المنافي للوعي القائم، وتحدثت عن المسكوت عنه، فالواقع مبني على معايير وأسس عرجاء، سطرها بالأساس النظام السياسي وظلال التاريخ القاسي، إذ تحول أغلب الناس إلى ضحايا الحرمان والكبت والضياع وفقدان الذات، مواجهين طاحونة الزمن التي تسرق في كل لحظة أعمارهم وحياتهم، إذ نجد الروائية حاولت تقديم رؤية ممكنة لبناء مجتمع جديد، سليم وصحي خالي من الأمراض النفسية بين الرجل والمرأة وبين الجنسين اتجاه الواقع والزمن والبحث عن الذات والقيم الأصيلة ومحاربة التشيء، فالشخصيات الفاعلة بتعدد أصواتها وضائرها وايدولوجياتها صنعتها بإحكام، وجعلت من أبطالها "جيم وأمين" شخصيات إشكالية أسيرة الزمن وفي صراع معه في مواجهة العالم الاجتماعي، وفعلت تقنية "الحوارية" في السرد، لتتخفى وراءها كنوع من التقوية، وتقدم من خلال وعيها الممكن وإحساسها العميق وخيالها الواسع نصاً تخيالياً يلامس الواقع ويتجاوز، يتم عن مدى تطور فكرها وثقافتها وطبيعتها انتاجاً وخصوصيته، ومما يمكن استخلاصه أن:

- الزمن في هذه الرواية شكل بنية معقدة، يتداخل فيه الواقعي بالتخييلي والتاريخي بالفني.
- عكس الزمن كعنصر حيوي الاضطرابات النفسية والاجتماعية والفلسفية التي تعيشها الشخصيات.
- غلبة الزمن النفسي على الرواية وطغيانه على بقية العناصر الأخرى وعلى زمن الأحداث، وأثره على القارئ أيضاً.

— خلعة بنية الزمن الطبيعي الواقعي للأحداث وتمزيق نمطيتها من خلال المفارقات والتقنيات الزمنية والتي شكلت الرواية عموماً والنسائية على وجه الخصوص، أبرزها الدلالة الزمنية.

قائمة الإحالات:

- 1- كولين ولسون وآخرون، فكرة الزمان عبر التاريخ، تر: فؤاد كامل، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، آذار 1992، ص 5.
- 2- عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، سلسلة عالم المعرفة، 1999، الكويت، رقم 240، ص 172-173.
- 3- ينظر: الشكلايون الروس، نظرية المنهج الشكلي، ترجمة إبراهيم الخطيب، الشركة المغربية للنشر الدار البيضاء-مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت 1982، ص 181.
- 4- ينظر: ميشيل بوتور، بحوث في الرواية الجديدة، ترجمة فريد أنطونيوس، منشورات عويدات، بيروت، 1971م، ص 101-102.
- 5- مراد عبد الرحمان مبروك، بناء الزمن في الرواية المعاصرة (رواية تيار الوعي نموذجاً)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998م، ص 10.
- 6- سارة النمى، رواية جيم، دار الآداب، لبنان، 2020، ص 5.
- 7- المصدر نفسه، ص 43.
- 8- ينظر: قيس الزبيدي، مفارقات الزمن في الأدب والسينما، مجلة الإمارات اليوم، ديسمبر، 2011.
- 9- سارة النمى، مصدر سابق، ص 108.
- 10- المصدر نفسه، ص 45.
- 11- المصدر نفسه، ص 61-62.
- 12- سارة النمى، مصدر سابق، ص 63.
- 13- ينظر: جيرار جينات، خطاب الحكاية، بحث في المنهج، ترجمة: محمد معتمد، عبد الجليل الأزدي، عمر حلى، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط 2، 1997م، ص 101، 122.
- 14- سارة النمى، رواية جيم، ص 120.
- 15- المصدر نفسه، ص 6.

- 16- المصدر نفسه، ص 44.
- 17- المصدر نفسه، ص 191.
- 18- المصدر نفسه، ص 64.
- 19- سارة النمس، مصدر سابق، ص 18.
- 20- المصدر نفسه، ص 10.
- 21- المصدر نفسه، ص 49.
- 22- مها حسن القصري، الزمن في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2004، ص 71.
- 23- مراد عبد الرحمان مبروك، بناء الزمن في الرواية المعاصرة (رواية تيار الوعي نموذجاً)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998م، ص 157.
- 24- سارة النمس، رواية جيم، ص 292.
- 25- المصدر نفسه، ص 281.
- 26- المصدر نفسه، ص 282.
- 27- المصدر نفسه، ص 40_41.
- 28- المصدر نفسه، ص 33.
- 29- المصدر نفسه، ص 35.
- 30- المصدر نفسه، ص 126.
- 31- سارة النمس، مصدر سابق، ص 5.
- 32- المصدر نفسه، ص 5.
- 33- المصدر نفسه، ص 6.
- 34- سارة النمس، مصدر سابق، ص 274.
- 35- المصدر نفسه، ص 46.
- 36- المصدر نفسه، ص 31.
- 37- المصدر نفسه، ص 101.
- 38- Henri Bergson, la pensée et le mouvement, ed PUF. Paris, 1975, p165.
- 39- سارة النمس، رواية جيم، ص 28.
- 40- المصدر نفسه، ص 29.
- 41- سيدي محمد بن مالك، جدل التخيل والخيال في الرواية الجزائرية (قراءات سردية ثقافية)، دار ميم للنشر، الجزائر، ط1، 2016، ص 13-14.
- 42- مها حسن القصري، الزمن في الرواية العربية، ص 150.
- 43- سارة النمس، رواية جيم، ص 43.
- 44- المصدر نفسه، ص 274.
- 45- المصدر نفسه، ص 275.
- 46- المصدر نفسه، ص 244.
- 47- سارة النمس، مصدر سابق، ص 261.
- 48- المصدر نفسه، ص 262.
- قائمة المصادر والمراجع:**
- 1-المصادر:**
- 1- سارة النمس، رواية جيم، دار الآداب، لبنان، 2020.
- 2-المراجع:**
- 1- جبرار جينات، خطاب الحكاية، بحث في المنهج، ترجمة: محمد معتمد، عبد الجليل الأزدي، عمر حلي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط2، 1997م.
- 2- سيدي محمد بن مالك، جدل التخيل والخيال في الرواية الجزائرية (قراءات سردية ثقافية)، دار ميم للنشر، الجزائر، ط1، 2016.
- 3- الشكلايون الروس، نظرية المنهج الشكلي، ترجمة إبراهيم الخطيب، الشركة المغربية للناشرين الدار البيضاء-مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت 1982.
- 4- عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، سلسلة عالم المعرفة، 1999، الكويت، رقم 240.
- 5- كولن ولسون وآخرون، فكرة الزمان عبر التاريخ، تز: فؤاد كامل، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، آذار 1992.
- 6- مراد عبد الرحمان مبروك، بناء الزمن في الرواية المعاصرة (رواية تيار الوعي نموذجاً)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998م.

- 7- مها حسن القصاروي، الزمن في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2004.
- 8- ميشيل بوتور، بحوث في الرواية الجديدة، ترجمة فريد أنطونيوس، منشورات عويدات، بيروت، 1971م.
- 9- *Henri Bergson, la pensée et le mouvement, ed PUF. Paris, 1975, p165*